مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
ISSN: 2437-0584/ EISSN: 2437-0584
المجلد 07 ،العدد 03 ديسمبر ،2021 ص – ص433-458

أثر الكوارث الطبيعية على الوضع الصحي للعامة في الدولة العباسية خلال القرن الرابع هجري ومدى تأثر الأنشطة الاقتصادية.

The impact of natural disasters on the health status of the public in the Abbasid state during the fourth century AH and .the extent to which economic activities were affected

شوانة خولة (*)
جامعة 8ماي 1945 قالمة، الجزائر، مخبر التاريخ للأبحاث والدراسات المغاربية
Chouana.khaoula@univ-guelma.dz

خالدي مسعود
جامعة 8ماي 1945 قالمة، الجزائر
Khaldi.messaoud@univ-guelma.dz

تاريخ الاستلام: 2021/10/ 18 **تاريخ القبول:** 2021/12/ 01 **تاريخ النشر:** 2022/02/ 05

الملخص

تعرضت الدولة العباسية خلال الفترة الوسيطة لموجات من الكوارث الطبيعية كالفيضانات والسيول والزلازل وغيرها من الكوارث شأنها شأن بقيت دول العالم الإسلامي أنذاك، بغض النظر عن نوعها أو حدود انتشارها فقد راح ضحيتها الكثير من الأهالي وذلك لحدوثها المفاجئ وتأثيرها السلبي على المجتمع البشري وحالته الصحية، حيث أنها غالبا ما فاقت قدراته واستطاعته فتأثرت بذلك أنشطته الاقتصادية. في أغلب الأحيان عمت تلك الكوارث عددا من المدن والقرى في آن واحد ما يجعل الأمر أكثر سوءا. من منطلق أن الأزمات الصحية لا تحدث بطريقة تلقائية وانما هي نتيجة لعوامل طبيعية وبشرية تزامنت وتفاعلت مع غياب الإجراءات الوقائية والاحترازية. كان لتكرار حدوث الكوارث الطبيعية في الدولة العباسية خلال القران الرابع هجري أثر كبير على المعالم الصحية ومن ثم الديموغرافية للعامة، ما خلف آثارا على الجانب الاقتصادي بصفة خاصة باعتبار ان الانسان هو المنتج والمستهلك. جاءت هذه الدراسة لبيان المضاعفات المرضية الناتجة عن حدوث مختلف الكوارث الطبيعية ومن ثم مدى تأثر الجانب الاقتصادي بالحالة الصحية للعامة باعتبارهم الحلقة الأضعف في التركيبة السكانية.

* المؤلف المرسل.

الكلمات الدالة	الكوارث الطبيعية، الأزمات الصحية، الأوبئة، العامة، الدولة العباسية.

Abstract:	During the intermediate period, the Abbasid state was subjected to waves of natural disasters such as torrential rains, torrential rains, earthquakes and other disasters, similar to the rest of the Islamic world, regardless of its type or the extent of its spread, many people have been killed due to its sudden occurrence and its negative impact on human society and its health condition, as it usually exceeded its capabilities and ability, thus affecting its economic activities. In most cases, these disasters affected a number of cities and villages at the same time, which would have made the matter worse. On the grounds that health crises are not automatic, but are the result of natural and human factors that coincided and interacted with the absence of preventive and precautionary measures. The recurrence of natural disasters in the Abbasid state during the fourth century AH had a significant impact on the health and demographic parameters of the public, which left effects on the economic aspect in particular, given that man is the producer and the consumer. This study came to show the pathological complications resulting from the occurrence of various natural disasters, and then the extent to which the economic aspect is affected by the health status of the public.

Keywords:	Natural disasters, health crises, epidemics, public , Abbasid state.

1. مقدمة:

يعتبر مجال الدراسات في الكوارث الطبيعية وتأثيراتها المختلفة من المواضيع المتجددة عبر العصور، خاصة وأنها اعتبرت من المشاكل الأزلية التي لا يمكن وصفها أو تحديد آثارها الا بعد انتهائها. تعرضت الدولة العباسية خلال القرن الرابع هجري لموجة من الكوارث الطبيعية كالفيضانات والسيول والزلازل وغيرها من الكوارث، بغض النظر عن نوعها أو حدود انتشارها فقد راح ضحيتها الكثير من الأهالي وذلك لحدوثها المفاجئ وتأثيرها السلبي اذ أنها عادة ما فاقت قدراته واستطاعته فتأثرت بذلك مختلف جوانب حياته خاصة الجانب الاقتصادي. تتحرى هذه الورقة البحثية بدراسة اشكالية محورية ننطلق فيها من تأثير الكارثة الطبيعية على الحالة الصحية للعامة باعتبار الانسان من أكثر المتضررين، ومن ثم تأثر الجانب الاقتصادي بذلك اذ لا يمكن حصر النتائج الاقتصادية بمنأى عن القوى البشرية و مدى سلامتها الصحية.

للإجابة على هذه التساؤلات اعتمدنا على المنهج التاريخي في الضبط الزمني والمكاني لحدوث الكارثة، ثم الوصفي أثناء وصفنا لما تخلفه الكوارث من آثار على القوى البشرية، والمنهج التحليلي في الربط بين حدوث الكارثة وتأزم الوضع الصحي ومن ثم تأثر الجانب الاقتصادي.

2. كثرة الاصابات وتأثر الوضع الديموغرافي

شكل حدوث الكوارث الطبيعية سواء المناخية(فيضانات، جفاف، موجات حر أو برد..) أو الجيولوجية(الزلازل) وحتى الكونية(انقضاض الكواكب والشهب) خطرا على صحة وسلامة أفراد المجتمع وذلك لعنصر المفاجئة التي تتصف بها ما جعل احتمالية النجاة من أخطارها تكون معدومة في بعض الحالات بحيث لا يستطيع الانسان اتخاذ الاجراءات اللازم حيالها فيكون مصيره إما الموت أو الاصابات المتفاوتة الخطورة. شهدت بلاد الدولة العباسية العديد من الهزات الزلزالية التي تميز بعضها بقوتها التدميرية والتتابع في بعض المرات ما جعلها شديدة الخطورة على القوى البشرية وذلك بسبب ما تحدثه من خسائر في الأرواح و الممتلكات.

زلزلت أرض العراق سنة 339هـ/950م ثلاثة مرات، ثم في سنة 344هـ/955م مرتين في شهر واحد[1] الا أن المصادر لم تفدنا بحجم الخسائر التي خلفتها. أما سنة 346هـ/957م فقد شهدت المنطقة زلازل كثيرة متتابعة دامت نحو أربعين يوما تسكن وتعود فهلك تحت الهدم خلق كثير[2] وكذلك زلزلة سنة 347هـ/958م التي مات فيها خلق كثير[3] كان التوقيت الزمني لتلك الرجاة الزلزالية أربعين يوما تسكن ثم تعود، الأمر الذي نتج عنه انهيار كثير من الأبنية ، رغم المبالغة في التحديد الزمني لزلازل ذلك العام الا أنه يدل على طول فترة تتابع الهزات الأرضية. وفي سنة 368هـ/ عرفت بلاد المشرق زلازل شديدة كان أعنفها بالعراق ما خلف خسائر بشرية هائلة[4] ما يدل على حدوث حركة اهتزازية قوية بالمنطقة. تعرضت الموصل في سنتي376 [5] 377[6] زلزلتين عظيمتين انهارت أمامها المنازل وكثر الموت تحت الهدم .

لم تقدم المصادر احصائيات مضبوطة لحجم الخسائر البشرية كما لم تفرق اذا ما كانت اصابات أو موت وانما استخدمت عبارات تعبر عن مظهر الأنقاض و فظاعة الخسائر.

شكلت حوادث السيول والفيضانات وسقوط البرد جزءا أساسيا من الأخطار التي واجهت سلامة وصحة العوام خاصة. ففي سنة 337هـ/948م زادت دجلة زيادة كبيرة فأدى ذلك الى اغراق العديد من الدور والضياع التي عليها واشرف الجانب الشرقي من بغداد على الغرق وهلك سكان تلك المناطق وهرب من بقي منهم خوفا من الغرق[7]

كما سجل مقياس دجلة زيادة في سنة 339هـ/950م مما ترتب عليه خسائر جسيمة فانهارت المنازل على سكانها وقتل كثير منهم تحت الهدم[8]وتكرر حدوث الزلزال سنة 367هـ/976م حيث هلك معظم سكان المنطقة.[9] أما عن أحداث البرد فلم تورد المصادر حجم الخسائر البشرية رغم تكرار سقوطها وما اتسمت به أحجامها من ضخامة.

شكلت الحرائق خطرا كبيرا هدد حياة الأهالي لأنها خارجة عن نطاق السيطرة في كثير من الاحيان، حيث وقع حريق سنة 359هـ/969م بسوق الثلاثاء خلف خسائر بشرية فاحترق جماعة من النساء والرجال[10]واعتبر حريق سنة 371هـ/981م من أشد الحرائق التي وقعت بالعراق خلال القرن الرابع هجري حيث اجتاحت ألسنة النار عدة مناطق من سوق الكرخ فأتى على الأساكفة والحذائين واحترق فيه جماعة من الناس وبقي لهبه أسبوعا[11]تسببت الصواعق هي الأخرى في احداث الكثير من الخسائر البشرية، ففي سنة 372هـ/982م وقعت صاعقة ببغداد فأحرقت كثيرا من سكانها وقتلت آخرين وكذا صاعقة سنة 382هـ/992م فأحرقت خلقا عظيما من سكان بغداد[12].

أدى حدوث الكوارث الطبيعية لإصابة الأهالي وتأثر حالتهم الصحية وكذا المعالم الديموغرافية في بلاد العراق، فقد تناقصت اعداد السكان بصورة مخيفة، قيل لعضد الدولة البويهي (367هـ-372هـ/ 977م-982م) " ازدادت دجلة زيادة كبيرة وغرق بسببها خلق كثير

وقال المعتد أن أهل بغداد قد قلوا كثيرا بسبب الطاعون .... وما أصابهم من حريق وغرق"[13] وهذا دليل قاطع على آثار الكوارث الطبيعية على التركيبة الديموغرافية.

كما وصف ابن حوقل (ت380ه) الوضع الديموغرافي للعراق أثناء زيارته لها خلال القرن الرابع الهجري حيث اتصفت بالتدهور وتناقص أعداد سكانها، فمات من سكانها عشرة آلاف نسمة فخوية منازلها ولم يبقى بها سوى أولئك الذيم لا يستطيعون الهجرة من شدة الفقر[14].

3. مساهمة الكوارث الطبيعية في ظهور الأوبئة

قبل التفصيل في كيفية مساهمة الكوارث الطبيعية في ظهور الوباء الذي يعتبر أزمة صحية تهدد سلامة الأهالي، لابد أولا من التعريف بالوباء. فالوباء لغة "كل مرض عام"[15] أما اصطلاحا "فهو تفشي لمرض معين في رقعة جغرافية بوقت واحد لسبب محدد ليس موجود في المجتمع المصاب أو لسبب يتوفر في المجتمع"[16] اعتبر الوباء هو نفسه الطاعون، عند بعض اللغويين وكذلك الاخباريين لكن في الحقيقة أن الطاعون أخص من الوباء فليس كل وباء طاعون ولكن كل طاعون وباء[17] ومنه فالوباء يشمل أمراضا عديدة من بينها الطاعون.

كما يعرف الوباء بأنه أزمة صحية ناتجة عن مرض سريع الانتشار والعدوى، يصيب نسبة عالية من الناس في منطقة جغرافية محددة أو واسعة وبذلك فمعناه الإصلاحي لا يختلف عن اللغوي، والملاحظ أن ظهور الوباء في مجتمع ما راجع لأسباب قد تتوفر في المجتمع الموبوء أو لا تتوفر وهذا ما يعبر عن خاصية العدوى والانتشار السريع للوباء حيث شملت بعض الأوبئة في الدولة العباسية –خلال الفترة الخاصة بالدراسة أغلب الأقاليم – وقد عبرت المصادر عن ذلك بقولها " وعم الوباء" "وعم الفناء" [18]

لم تكن الأوبئة التي اجتاحت الدولة العباسية (132هـ/656هـ) كظاهرة جديدة في تاريخها فقد تعرضت لموجات وبائية اندرجت في خطورتها وتأثيرها على مختلف جوانب الحياة، حيث لم يكن بالإمكان احتوائها أو التغلب عليها في الكثير من الأحيان. ارتبط حدوثها وانتشارها بعوامل طبيعية وبشرية تفاعلت مع غياب الإجراءات الوقائية والاحترازية ليسهل

انتشارها. كثيرا ما ارتبط ظهور وانتشار الأوبئة بحدوث الكوارث الطبيعية فمن خلال تتبع ما ورد في المصادر التي أرخت للدولة العباسية والتي أوردت أحداث الكوارث الطبيعية والأزمات الصحية ضمن جملة الأحداث الاستثنائية التي عرفتها الدولة وجدنا أن المرض غالبا ما يحدث بعد انتهاء الكارثة الطبيعية. وبالتالي فقد اعتبر ظهور الوباء كأحد النتائج لتلك الاضطرابات الطبيعية أي أنه لا يحدث بصفة تلقائية. وذلك لما ينتج عن الكوارث من فساد للهواء وفساد للتربة والماء وظهور للأزمات الغذائية مما يؤدي لظهور وانتشار الوباء.

1.3 .فساد الهواء:

يعتبر فساد الهواء من الاسباب الفاعلة لظهور الوباء. ويكون الهواء فاسدا ان كان مفرط البرودة أو الرطوبة أو منتن الرائحة[19] وبالتالي يقصد بفساده تغير مكوناته الفيزيائية. ففساد الشيء يعني "خروجه عن الاعتدال قليلا كان الخروج عنه أو كثيرا ويضاده الصلاح"[20] وقد استخدم مصطلح "فساد" الهواء ولم يستعمل مصطلح "تلوث" الهواء وذلك لأن معنى كلمة "لوث" في المعاجم اللغوية[21] بعيدة الدلالة عما نقصده بالتلوث اليوم.

من أسباب خروج الهواء عن الاعتدال ازدياد برودته أو سخونته أو رطوبته أو جفافه، أو مخالطته للعفونة [22]او بسبب التغيرات الفصلية، أو مخالطته للماء الآسن والجيف الكثيرة، طلوع الكواكب وغروبها، بعدها وقربها من الأرض.[23] وكل هذه الأسباب هي في الغالب نتيجة حدوث كارثة طبيعية وبالتالي ينتج تغير جوهر الهواء المؤدي لظهور الوباء. وهذا ما أكدته المصادر حيث قدم ابن سينا(370هـ/427هـ) تفسيرا لحدوثه مقرا أنه ينتج عن " عفونة الهواء لمخالطته لأبخرة رديئة "[24] وذهب ابن النفيس (ت687هـ) نفس المنحى في تفسير حدوثه وانتشاره مرجعا تغير جوهر الهواء "لأسباب سماوية وأسباب أرضية" أي لأسباب متعلقة بأسباب طبيعية واسباب بشرية في منظومة تعمل بعيدا عن البدن[25] كما ربط الأنطاكي (ت1008هـ)"ظهوره بتغير الهواء الى الفساد"[26]

فالعلاقة بين فساد الهواء وظهور الوباء علاقة حتمية وهذا ما أكده ابن القيم(ت751هـ) بقوله "وفساد جوهر الهواء موجب لحدوث الوباء"[27] فبفساد الهواء تنتج خمائر[28] تخالط الأخلاط[29] باستنشاقها تحدث أعفان بالجسم فيصبح بذلك الجسم متهيئا لقبول الأعراض الممرضة[30] فحالات الأبدان تابعة لمزاج الهواء وذلك أنه متى كان الهواء صافيا كانت الأخلاط والأرواح صافية، ومتى كان الهواء كدرا كانت الأخلاط والأرواح كدرة[31]

تأثر هواء العراق بملامسته للجثث المتعفنة عقب حدوث الكوارث الطبيعية خاصة الفيضانات والزلازل ويكون ذلك لما تخلفه تلك الكوارث من جثث متناثرة يصعب دفنها لكثرتها أو بقائها تحت الأنقاض مما يساهم في فساد الهواء فتتأثر بذلك الحالة الصحية. وقد أوردت المصادر عبارات دالة عن انتشار الجثث عقب حدوث الكوارث الطبيعية والتي أثرت حتميا على جودة الهواء وساهمت بالتالي في انتشار العدوى وذلك لاشتراك الناس جميعا في استنشاق الهواء فبفساده يعم المرض في ذلك الموضع أو ينتقل لمواضع أخرى[32] ، ومن تلك العبارات " تركوا دفن الموتى لكثرتهم"[33] "عجز الحفارين عن دفن موتاهم" " يموت في كل يوم قرابة ألف نفس" [34] أو " حتى كان لا يدفن أحد أحدا بل يتركون على الطرقات فتأكلهم الكلاب " [35] "كثر الموت على الطرقات"[36] وبالتالي ينتقل الوباء من خلال الهواء المار بجيف الأموات خاصة المجذومين والمصابين بالطاعون. والمثال عن ذلك زلزال سنة (347هـ/958م)[37] ببغداد والذي تبعه حدوث "موت الفجأة" في السنة الموالية[38]، وزلزال سنة (376هـ/986م) الذي مات بسببه خلق كثير و تبعه وباء عظيم في السنة الموالية[39].

تغير جوهر الهواء كذلك ، بسبب انقضاض الكواكب والشهب، تكررت هذه الظاهرة عدة مرات خلال هذه الفترة الزمنية وذلك، خلال السنوات التالية 361هـ، 364هـ، 373هـ، 389هـ، 392هـ[40]، حيث تتحول الشهب الملتهبة الى أبخرة وغازات بسبب احتكاكها بالغلاف الجوي وبالتالي يفسد الهواء[41]

ساهمت موجات الحر الشديد التي تعرضت لها الدولة العباسية خلال فترة الدراسة في تفشي "الحميات" فمناخ العراق يتميز بالاعتدال اذ لا يخرج ساكنوه من شتاء الى الصيف حتى

يمر بهم الربيع ولا من الصيف الى الشتاء حتى يمر بهم الخريف[42] فأثر ذلك على صفات أهله وأمزجتهم التي اتصفت بالاعتدال[43] وما جعله مختلفا عن تلك المناطق التي تتميز بكثافة هوائها فبيئته وطبيعة أجساد أهله تتميز بقدرة الدفاع ومواجهة الوباء. الا أن هذه المميزات المناخية لم تكن ثابتة فكثيرا ما تعرضت العراق لموجات من الحر والبرودة وكذا الرطوبة العالية.

فقد تعرضت المنطقة لاضطرابات مناخية كالارتفاع أو الانخفاض الشديد لدرجة الحرارة، الجفاف أو الرطوبة العالية والتي أثرت في هوائه فجعلته محفزا لظهور وانتشار مجموعة من الأوبئة. ومن الأوبئة التي تسببها تلك الاضطرابات المناخية هي "الحميات"[44] حيث أن عناصر المناخ هذه(الحرارة، البرودة، الرطوبة، الجفاف) يمكن أن تشكل بيئة ملائمة تساهم في تفشيها، ومن المناطق التي تمتاز بكثرة الحميات خاصة خلال فصل الصيف في العراق هي منطقة "البطائح" فيقال أن سكانها ينامون ثم يصحون وقد ظهر بهم حمى كالإبر وكذلك الأهواز التي لا تنقطع حماها ولا وباؤها ما جعل سكانها يعانون عذابا أليما[45] تكرر حدوثها عدة مرات حيث ظهرت الحميات ببغداد والمناطق المجاورة لها سنة (329هـ/940م)[46] وأصاب الناس بحلول سنة(343هـ/954م) أمراض كثيرة وحمى[47] ، وتكرر حدوثها كذلك سنة (376هـ/986م) حيث كثر الموت بسببها وراح ضحيتها كثير من سكان العراق[48] أما البصرة فقد وصفها البلاذري بأنها "سبخة نشاشة لا يجف نداها ولا ينبت مرعاها"[49] وبالتالي فالرطوبة بها عالية، ما جعلها عرضة لموجة حر خلفت آثارا مدمرة على السكان حيث تساقط الناس في الشوارع وماتوا في الطرقات وذلك سنة (378هـ/988م)[50]، ومن شدة تلك الموجة وقع الوباء بالبصرة والبطائح كذلك،[51] كثرت الأمراض الدموية ببغداد في شهر تموز وآب من سنة (301هـ/913م)[52] وتكرر حدوثها في تشرين من سنة (357هـ/967م) حيث مات الكثير من الناس وأطلق على هذا الوباء الماشري[53] فقد ارتبطت هذه الأمراض بفصل الصيف حين ترتفع درجة الحرارة والتي ترافقها ارتفاع في درجة الرطوبة .

كما ساهمت موجات الجفاف التي تعرض لها العراق خلال القرن الرابع للهجرة، في ظهور أورام في الحلق فأصاب سكانها سنة (346هـ/ 957م) نقص شديد من المياه بسبب انقطاع سقوط الأمطار والذي صاحبه جفاف في الهواء[54] فظهر في الناس أورام الحلق وكثر موت الفجأة خلال تلك السنة [55]

اعتبر فساد الهواء جزء لا يتجزأ والسبب التام والعلة الفاعلة للطاعون خاصة في أواخر الصيف وفي الخريف [56] كما يرتبط ظهور الطاعون بفصل الربيع، وذلك لاعتداله بين الحرارة والبرودة[57] وبالتالي فالاختلاف في درجة الحرارة والبرودة وكذا الرطوبة تولد مادة الوباء. أبطلت العديد من المصادر علاقة ظهور الطاعون بفساد الهواء، باعتباره "طعن جن"[58] وحجة البعض هو وقوعه في أكثر الفصول اعتدالا وفي أصح البلاد هواءا وأطيبها ماءا[59] لكن لا يمكن الغاء مساهمة فساد الهواء في ظهور الطاعون وانتشاره خاصة الطاعون الرئوي[60]، الذي يتشكل وينتشر بتوفر الظروف المناخية والبيئية الغير الصحية. فاذا كانت الإصابة به بسبب الجن فان الأدعية التي تمنع من مس الجن ومن الإصابة بالوباء تمنع الإصابة به اذن.

فتك الطاعون بسكان دولة العباسية خلال القرن الرابع للهجرة، حيث انتشر سنة (343هـ/955م) والذي ارتبط ذكره في المصادر التاريخية بعبارة "حتى تفانت الناس"[61] وهذا دليل على فتكه وسرعة قتله للناس، تكرر ظهوره سنة (346هـ/958م) ولشدة انتشاره وقتله يحكى أن لصا هم لسرقة منزل ببغداد فأصابه الطاعون وهو يسرق، كما أن قاضيا قبل خروجه الى الجامع ليقضي بين الناس لبس احدى خفيه وجاء ليلبس الآخر فأصابه الطاعون، فمات على الفور[62]. أصاب الناس طاعونا مقترننا بموت لفجأة سنة (348هـ/959م)[63] وكثيرا ما اقترن ظهور الجدري بالطاعون في أغلب حالات وقوعه، حتى أن المصادر التاريخية كانت تطلق عليهما "الموتان العظيمان" [64]مثلما حدث سنة (348هـ/959م)[65] يلاحظ اقتراب الفترات التي انتشر بها وباء الطاعون، حيث ظهر في فترات متعاقبة قد يرجع ذلك لتكرار حدوث أسبابه أو عدم انقطاعها خلال تلك الفترة.

2.3 تلوث الماء و التربة:

أدى تزامن حدوث الكوارث من فيضانات وسيول مع اهمال اعمال الصيانة وعدم تهيئة قنوات الصرف الى تشكل البرك والمياه الراكدة التي كانت بعد انحسارها سببا في ظهور الأوبئة، حيث أنها أصبحت كمرتع للجراثيم والحشرات الحاملة للأمراض فقد أكد لنا ابن الفقيه انتشار الذباب والبراغيث بكثرة في بغداد والعراق،[66] فالبراغيث تعمل على نقل الطاعون من القوارض الميتة، ثم تهاجم جسم الانسان لتتغذى منه[67] إضافة لما تخلفه المدود العظيمة وفيضانات دجلة من مستنقعات وبطائح بسبب تراجع مقومات النشاط الإروائي فأدى ذلك في كثير من الأحيان الى غرق بغداد حيث تكرر حدوث الفيضانات خلال هذه الفترة عشرة مرات[68]، فبالنظر الى خارطة الموارد المائية في العراق بدقة نلاحظ تلك الشبكة التي تؤلفها الجداول والترع المتفرعة عن نهري دجلة والفرات والتي تجري في جميع مسالك البلاد ودروبها، فيعتمد عليها في الشرب والسقي وبالتالي فأي ضرر يعرض لماء دجلة والفرات أو مياه أحد تلك الجداول سيضر حتميا بأهالي المنطقة[69]. لأن الماء يتأثر بما يخالطه[70] ونظرا للتأثير المتبادل بين الهواء والماء والتربة، يؤدي تلوث أحد هذه العناصر الى تلوث العنصر الآخر، حيث أن التبخر يعمل على نقل الميكروبات والجراثيم المتواجدة في الماء الى الهواء[71]

كما أدى القاء الجيف النافقة بعد حدوث الكوارث في الأنهار الى تلوثها مثلما حدث سنة (329هـ/941م) حين طرحت المواشي في نهر الدجلة أعقاب وقوع الموت في المواشي فكثرت الحمى ووجع المفاصل[72] وبالتالي تنتقل تلك الأمراض الى الانسان عن طريق الشرب أو تناول ما سقي بها، فالماء الفاسد يغير القيمة الغذائية للأغذية.

أما تلوث التربة، فهو ما يصيب طبقة التربة الخارجية الرقيقة المنتجة من تدمير، ومن أسباب تلوث التربة تمليح التربة وهذا يحدث خاصة في مدينة البصرة، التي تغمرها مياه المد والجزر مما يحدث ملوحة في التربة وتكون بذلك غير صالحة للزراعة. إضافة الى ظاهرة التصحر

الناتجة عن انحباس الأمطار وكثرة الرياح التي تعمل على زحف الرمال الى الأراضي الزراعية وتأثير المواد المترسبة من الهواء عقب الزلازل والبراكين [73]

3.3 المجاعات وغلاء الأسعار

كان ظهور الأزمات الغذائية نتيجة حتمية لما تعرضت له العراق خلال الفترة مناط البحث من كوارث خاصة المناخية منها، فعانى الفقراء خاصة منها اذ أنهم لم يستطيعوا مقاومتها فلاقوا حتفهم جوعا، فلا يمكن أن نغفل مساهمة المجاعات وارتفاع الأسعار في ظهور وانتشار الأمراض بشكل واسع فالواضح وجود علاقة بين ثنائية الوباء والجوع، وذلك لعجز الأهالي عن تأمين متطلباتهم اليومية من الغذاء وبالتالي الإصابة بسوء التغذية التي تجعل الجسم غير قادر على مواجهة الوباء.

ربط اليافعي ظهور الوباء بالقحط الشديد والجفاف الغير المحدود المؤدي لظهور الغلاء وصعوبة الحصول على الغذاء ما يجعل الناس تأكل الجيف لشدة الجوع واستحالة الحصول على الغذاء.[74] فقد ارتبطت أزمات الغلاء والمجاعات في بعض الأحيان بالأوبئة الفتاكة والأمراض المعدية نتيجة الأطعمة والأشربة رديئة النوعية وغير المستساغة او لقلة كمية الأطعمة المتناولة حيث تضعف مناعتهم أمام الأمراض، فتظهر الأوبئة التي ترافق عادة الفقر والبؤس.[75] اعتبر الخبز من المواد الغذائية الأساسية خاصة للعامة حيث يعتمد في صنعه على الحنطة التي توفر للجسم الكثير من الاحتياجات[76] إضافة الى عدم التوازن الغذائي بين كميات السكر التي تتحصل عليها الطبقات الفقيرة من التمر الذي يصبح الغذاء الأساسي أثناء الأزمات الغذائية مقارنة مع كميات البروتين المحدودة التي يتحصل عليها الأهالي من كميات اللحم القليلة أو عدم وجودها بسبب وقوع الوباء في المواشي ما يجعل الجسم مستعدا للإصابة بالوباء [77]وبالتالي فقد كان افراد الطبقة الفقيرة أكثر عرضة لتلك الأمراض والأوبئة.

فلا شك أن سوء الحالة الاقتصادية تعد عاملا مساعدا في ظهور وانتشار الأوبئة، فهناك ارتباط وثيق بين الحالة الاقتصادية للفرد وبين حالته الصحية فكلما ارتفع دخل الفرد وتحسنت حالته الاقتصادية كلما ارتفع المستوى الصحي له وقلت أمراضه وبالتالي زاد انتاجه

وارتفعت حالته الاقتصادية وبالعكس انخفاض الحالة الاقتصادية لمجتمع ما يصاحبه قلة الدخل الفردي وبالتالي ينخفض المستوى المعيشي وتنتشر الأمراض ولعل كلاهما سبب ومسبب فانها حلقة مفرغة كل منهما يؤدي الى الآخر.[78] إضافة الى قلة الغداء يظهر إشكال أخر وهو قلة جودة المنتج فالطعام والماء الرديء متى أكل منه أو شرب أضر بآكله وشاربه [79] فتناول الأغذية قليلة النفع تورث الأمراض[80]

كثيرا ما تزامنت موجات الغلاء وحدوث الكوارث الطبيعية من جفاف وهجوم أسراب الجراد وفيضانات مع حدوث الوباء، فقد تسببت ارتفاع مناسيب مياه الأنهار سيما نهري الدجلة والفرات في اغراق مناطق واسعة من السهل المحيط بها، فتحول النهرين من كونهما مصدر رخاء الى مصدر خطر يصيب النفوس والأموال والزروع على حد السواء، فكميات المياه الزائدة والتي تكون في بعض المرات غير محدودة تجبر الأنهار على كسر ضفافها كما تعمل على إيجاد ممرات طبيعية غير السابقة. وما يزيد من حدة خطر هذه الفيضانات خراب وتدهور نظام الري نتيجة الحروب الداخلية والثورات التي كانت تنشب في أطراف الدولة العباسية وفي قلبها، ومع أن تلك الثورات أخمدت في كثير من الأحوال الا أنها كانت عاملا كبيرا من عوامل ضعف الدولة[81] اذ أصبح الوضع الاقتصادي للبلاد رهينة الصراع بين الأمراء وبالتالي تأثرت فعليات الزراع وقل الإنتاج. [82]هذا لا يعني أن انتشار الأمراض يأتي في أعقاب الغلاء والمجاعة فحسب وانما قد تتزامن مع الفيضانات أو الزلازل أو تأتي منفردة. وفي الوقت الذي تكون فيه الامراض والأوبئة من أبرز النتائج التي تسفر عنها الازمات المعاشية فانها أسهمت في أحيان أخرى في حدوث الازمات الاقتصادية في الدولة العباسية حيث كانت الامراض والاوبئة على درجة عالية من الخطورة لما ينجم عنها من هلاك للكثير من أهل البلاد.

تكررت موجات الغلاء خلال القرن الرابع للهجرة، حيث سجل خلال الفترة الأولى منه حدوثه أربعة مرات، سنة 307هـ، 323هـ، 329هـ، 330هـ، 332هـ وخلال العصر البويهي تكرر احدى عشر مرة في السنوات 334هـ، 349هـ، 358هـ، 364هـ، 373هـ، 376هـ،

377هـ، 378هـ، 382هـ، 383هـ، 387هـ، 391هـ، وتبدو العلاقة واضحة بين الغلاء والاضطراب المركزي إضافة الى ما تم استحداثه من أنظمة تعسفية ارتبطت بالقطاع الزراعي كالإقطاع العسكري ثم توسيع نظام الالجاء وبالتالي تسبب في خراب نظام الري الذي غالبا ما عجز عن مقاومة خطر الكوارث الطبيعية اضافة لضعف أحوال الفلاحين نتيجة ظلم المقطعين لهم وتعسفهم في الجباية [83].

اشتد الغلاء في جمادى الأولى نتيجة الجدب الناتج عن قلة الأمطار سنة (329هـ/941م) حيث أكل الناس النخالة والحشيش وكثر بهم الموت، ووصل الغلاء عام (330هـ/941م) فاضطر الضعفاء الى أكل الميتة مما أدى الى انتشار الوباء بينهم وكثر الموت فيهم،[84] وتكرر ذلك سنة (331هـ/942م) حيث غلت الأسعار بسبب موجة من الجراد الأسود فوقع الوباء حتى أكل الناس الكلاب [85] و عظم البلاء ببغداد سنة (334هـ/945م) حتى أكل الناس الجيف والروث و الميتة والسنانير والكلاب وماتوا على الطرقات فأكلت الكلاب لحومهم، وكثر الوباء في الناس حيث تركوا على الطرقات اذ لم يدفن أحدهم الآخر [86]

كما اشتد الغلاء ببغداد سنة (335هـ/946م) فأكل الناس الميتة والكلاب وحتى الشوك والخروب فلحقهم أمراض وأورام في أحشائهم فكثر فيهم الموت. [87] انتشر الوباء ببغداد وواسط والأهواز بسبب القحط وغزو الجراد واتلاف المحاصيل عام (344هـ/955م)،[88] تعرض الموصل سنة(349هـ/960م) لغلاء شديد اذ ارتفع سعر الحنطة الى ألفي ومئتي درهم والشعير الى ثمانية مئة درهم، وقد أدت هذه الأسعار الى ظهور مجاعة كبيرة في الموصل وشبه الجزيرة الفراتية[89] أما عن أسباب هذه المجاعة فهو فيضان العام السابق الذي تعرض له الموصل ونواحيها وأدى الى تدمير المحاصيل والغلات الزراعية وأدى بطبيعة الحال الى ظهور هذه المجاعة ونقص المحاصيل الضرورية للحياة

وقع الغلاء وأعقبه وباء عظيم سنة (377هـ/987م) حيث راح ضحيته الكثير من سكان العراق والمناطق المجاورة، [90]ارتبط حدوث الوباء بالمجاعات لكن هذا ليس دائما فكثيرا ما حدثت مجاعات ولم يتبعها وباء، خاصة وأن القرن الرابع للهجرة قد تميز بارتفاع الأسعار

باستثناء فترات قصيرة خاصة سعر الخبز الذي كان يتماشى مع سعر الحنطة فاذا زاد سعرها يزداد سعر الخبز تلقائيا[91]

كما انتشر في العراق خلال القرن الرابع للهجرة العديد من الأوبئة التي أصابت الحيوانات، اذ توحشت الكلاب سنة (300هـ/912م) وهاجمت الناس ما أدى الى قتلهم[92]، وانتشر وباء البقر سنة (326هـ/938م) [93]ووقع الموت في المواشي عام (329هـ/941م)[94] فبالإضافة الى هلاك هذه الحيوانات الا انها أثرت كذلك على الانسان باعتبارها كوسيلة نقل إضافة الى اعتبارها كمصدر لغذائهم وهذا ما يجعل الأمر خطيرا أكثر.

4. انعكاس الأزمات الصحية على الأنشطة الاقتصادية

نتج عن حدوث الكوارث الطبيعية العديد من الأزمات الصحية التي أدت الى الموت في العديد من المرات جراء الاصابة بالأوبئة أو حدوث اصابات وأضرار متفاوتة الخطورة. لم تعطينا المصادر احصائيات دقيقة عن حجم تلك الخسائر الا أنها عبرت عن هول الكارثة وحجم الخسائر البشرية والصحية المترتبة عنها. والذي انعكس على مختلف الأنشطة الاقتصادية و من منطلق أن الانسان هو "المنتج" فسوء حالته الصحية أو كثرة الوفيات تؤثر سلبا على الفاعليات الاقتصادية. وصف المقدسي أوضاع العراق وأحواله خلال القرن الرابع هجري وهو أحد المعاصرين لهذه الحقبة بقوله "أنه بيت الفتن والغلاء، وهو في كل يوم الى وراء، ومن الأجور والضرائب في جهد وبلاء، ومع ثمار قليلة، وفواحش كثيرة ومؤن ثقيلة"[95] فهو بذلك يعطينا صورة عن الواقع الاقتصادي الذي آلت اليه الخلافة العباسية أنداك ما عدا بعض الفترات التي شهدت استقرارا اقتصاديا.

كان أفراد الطبقة العامة أكثر المتضررين بحدوث الكوارث الطبيعية وأكثر المصابين بالأوبئة وما تم انشاءه من المستشفيات كان قادرا على تسيير الخدمات الصحية للناس وتلبية حاجات المرضى والمصابين الا أنه نظرا لمفاجأة حدوث الكارثة الطبيعية ولما تتميز به الأوبئة من سرعة في الانتشار ولاتساع جغرافية المنطقة خاصة بغداد التي اعتبرت مركز الثقل السكاني

ومن أهم مناطق النشاط الاقتصادي ومنطلق العديد من الاضطرابات السياسية وضعف المستوى المعيشي للأفراد في كثير من الاحيان، إضافة الى قلة الوعي الصحي عجزت السلطة عن وضع حد لانتشار الوباء في العديد من المرات أو التدخل لانقاض المتضررين من الكوارث الطبيعية

فكثيرة هي الإشارات التي تدل على صعوبة التحكم في الوضع، كترك دفن الموتى لكثرتهم، كثرة الموت على الطرقات، موت أعداد كبيرة من الناس خلال اليوم الواحد، ولعموم هذه العبارات فالمؤكد أن طبقة العامة كانت أكثر تضررا من هذه الأزمات الصحية لأن إصابة أحد أفراد الطبقة الحاكمة بأحد تلك الأوبئة أو موته جراء احد الكوارث الطبيعية يعتبر حدثا مهما لن تغفله المصادر. فوفاة الوزير أبي حامد بن قاسم سنة (321هـ/933م) سببها مرض القولنج[96]، وموت الخليفة الراضي بالله أبو العباس سنة (329هـ/940م) راجع لإصابته بعلة الاستسقاء[97]، توفي كل من سنان بن ثابت سنة (331هـ/942م)[98] ومعز الدولة بن بويه سنة (356هـ/966م) بعلة الذرب[99]، أما عضد الدولة سبب وفاته هو داء الصرع وعلة وفاة ابنه شرف الدولة سنة (379هـ/989م) داء الاستسقاء[100]. وجميعها أمراض لا علاقة لها بالكوارث الطبيعية أو بفساد الهواء أو نقص التغذية وغيرها من أسباب الأوبئة.

رغم أن المصادر لم تتحدث بصراحة عن تأثير الأوبئة و الأمراض على الجانب الاقتصادي الا أننا نستشف من خلال بعض الاشارات الواردة بها أن الأوبئة وكثرة الأمراض والاصابات جراء الكوارث الطبيعية كان لها تأثير غير قليل على الصناعة بسبب هجرة الكثيرين من العاملين بها أو جراء تأثر حالتهم الصحية فانعكس ذلك سلبا على الانتاج الصناعي ، كما حدث عند وقوع وباء سنة 334هـ/935م هاجرة الضعفاء والصناع الى البصرة هروبا من المرض والجوع فخرجوا جماعات متتابعين، الا أن أكثرهم مات في الطريق وقبل أن يصلوا اليها ومن وصل مات بعد مدة يسيرة لما وجدوه من جوع ومرض ومشاق السفر. كما تأثرت الصناعة بما تعرضت له المحلات والورش الصغيرة التي تصرف المنتجات من استغلال ونهب من طرف اللصوص بهدف تحصيل المال نتيجة غياب أصحابها وغياب الرقابة.

ادى ازدياد الأخطار الصحية بالعراق خلال القرن الرابع هجري لقتل أو هجرة الأيادي العاملة في المجال الزراعي خاصة في القرى الزراعية مما أضعف الناتج الزراعي والحيواني، فالملاحظ أنه في سنوات التردد الوبائي أو حدوث كوارث طبيعية تتعرض العراق للعديد من المجاعات وارتفاع الاسعار والتي تستمر لفترات طويلة. ومثال ذلك الوباء الذي تعرضت له سنة 376هـ/987م حيث فتك بالناس وقد كان أثره الكبير في ظهور المجاعة وزيادة الأسعار في المواد الغذائية الضرورية ففي رجب من نفس السنة زادت الأسعار حتى وصل سعر الدقيق الى نيف وتسعين درهما وهذه فيما يبدو كانت زيادة مفرطة في سعره[101] والذي استمرت نتائجه الى السنة الموالية حيث استمرت زيادة الأسعار ونقص المواد الغذائية لاسيما سعر الدقيق الذي بلغ مئة وخمسة وستون درهما ثم الى مئتين وأربعين درهما وقد أدت هذه المجاعة الى خروج الناس من بغداد وهروبهم منها.[102] كما تعرضت الثروة الحيوانية للهلاك والدمار وذلك بسبب ما وقع في الحيوانات من أوبئة فازدادت أسعار لحومها.

ولنقص الرقابة وانشغال السلطة في مكافحة الأزمات الصحية تفاقمت ظاهرة الاحتكار عند التجار الذين احتكروا السلع مستغلين قلة المنتوجات والمواد الزراعية والطبية التي يزيد عليها الطلب خاصة أثناء ظهور الأوبئة، وبالمقابل نقص عدد المستهلكين لبعض المنتجات خاصة الكمالية منها وبالتالي فقد تأثرت الفعاليات التجارية. كما نشطت مجموعات من الشطار والعياريون الذين كانوا ينشطون وقت الكوارث الطبيعية والاوبئة ينتشرون للسرقة بين اطلال المنازل التي تركها سكانها خوفا من الموت. فقد نهبوا المناطق السكانية التي كانت محط عملياتهم وكانوا يدخلون مستودعات تجارة القماش والاخشاب والجزارين والاسواق، ما أثر على حركة البيع والشراء أثناء هذه الظروف

اعتبرت كل هذه الاضطرابات الاقتصادية نابعا طبيعيا لسوء الحالة الصحية التي عانى منها الأهالي لفترات متتالية التي من شأنها أن تغير هيكلة المجتمع العباسي أنداك. وما زاد من حدة خطر هذه الأزمات الصحية وتزايد الاضرار الاقتصادية تلك السلوكات الغير صحية التي كانت

تصدر سواء عن السلطة أو العوام بجهل للإجراءات التي يجب اتباعها في مثل تلك الأزمات والتي تؤدي لانتشار العدوى فيخرج الوضع عن السيطرة كتلك الصلوات الجماعية التي كثيرا ما رافقت انتشار الوباء والتي ضمت الآلاف من الأشخاص بتنظيم من الخليفة لرفع الطاعون، وكذا التقارب الجسدي الذي يحدث بين المصاب والسليم وقد قدم التميمي مثالا عن ذلك أن ترى المنزل الذي فيه الجماعة ممن لم يحصب أو يجدر قط إذا حدث بواحد منهم احدى هاتين العلتين لن تلبث تلك الجماعة الى اليسير حتى تنالهم تلك العلة بعينها اما واحدا بعد الواحد واما في نفس الوقت[103]

كما ساهمت علاقات الجوار وما يتبعها من علاقات اجتماعية واقتصادية في تفشي الوباء وبالتالي تواصل أثر الأزمات الصحية على الأنشطة الاقتصادية، فلقرب ومجاورة القسم الشرقي من بغداد لمنطقة ديالي، فانها كانت تتأثر لما يحدث ببغداد بسرعة من أمراض، حيث ظهرت مرض الحميات في بغداد والمناطق المجاورة لها سنة (329هـ–940م).[104] وتكرر الأمر كذلك سنة (347هـ–958/م) فتأثرت منطقة ديالي بالوباء الذي أصاب بغداد [105] شملت علة مركبة من الدم والصفراء سكان الأهواز سنة (342هـ/953م) حدثت واتصلت الى بغداد وواسط والبصرة وكان حجم الضحايا كثيرا لدرجة أن أهل الدار يموتون كلهم ، تعرضت أصبهان كذلك لعلة مركبة من الدم والصفراء سنة (343هـ/954م) فشملت الناس وانتقلت الى الأهواز وبغداد وواسط والبصرة واقترن بها هناك وباء حتى كان يموت كل يوم ألف شخص [106] كما لحق السكان في بلاد العراق علة مركبة من الدم والصفراء سنة (344هـ/955م) فكان مكثها ما بين يومين الى سبعة أو عشرة أيام فطارت هذه العلة على الأهواز وبغداد وواسط والبصرة، وبلغ حجم الخسائر بالبصرة في المتوسط ما بين ألف الى ألف ومئتان [107] وكان للنزوح الجماعي الذي كثيرا ما صاحب انتشار الوباء خوفا من العدوى دور في انتقال الوباء وبالتالي تضرر الأنشطة الاقتصادية في جميع أنحاء العراق.

إضافة الى خطر التصرف بالجثث دون احتياط، فذكر ابن الأثير[108] أنه لكثرة الوباء في الناس كان لا يدفن أحد أحدا بل يتركون في الطرقات، وغالبا ما يستولي الفقراء على البسة

الوفيات من المطعونين أو المجذومين دون وعي منهم بما تحمله تلك الثياب من جراثيم حتى مرور عدة أيام[109]

وما زاد من حدة الأضرار الاقتصادية هو تباين حدود وقوع الكوارث الطبيعية وانتشار الاوبئة حيث أنها شملت في مرات العراق كله دون تحديد منطقة معينة ما يدل على عظم البلاء، في حين شملت في مرات مناطق دون أخرى خاصة بغداد التي اعتبرت أكثر المدن تعرضا لظهور الأوبئة وحدوث الكوارث الطبيعية لكن هذا لا ينفي إصابة المدن الصغيرة، وهذا ما قد أغفلت ذكره المصادر التاريخية وذلك لتركيزها على التأريخ للمدن البارزة التي كانت بؤرة الاضطرابات السياسية ومركز مختلف الأنشطة.

5. خاتمة:

اتضح من خلال الدراسة العلاقة بين الكارثة الطبيعية وتدهور الحالة الصحية، فكثيرا ما ارتبط المرض بحدوث الكوارث الطبيعية بطريقة مباشرة وذلك لما تخلفه الكوارث من اصابات أو موت أو بطريقة غير مباشرة كمساهمتها في ظهور وانتشار الوباء الذي يعتبر من أخطر الأزمات الصحية.

انعكست الأزمات الصحية على مختلف الأنشطة الاقتصادية سلبا وذلك لتأثيرها المباشر على الانسان الذي يعتبر محور أساسي في مختلف تلك الانشطة فهو المنتج والمستهلك وبحدوثها تتأثر وحياته واستقرار معيشته ومصالحه.

شكل حدوث الكوارث الطبيعية تهديدا مباشرا لسلامة الأهالي لما تخلفه من اصابات متفاوتة الخطورة تصل في بعض المرات للموت، فانعكس ذلك سلبا على المعالم الصحية ومن ثم الديموغرافية للدولة العباسية. رغم غياب احصائيات دقيقة لعدد الضحايا في اعقاب حدوث أي كارثة طبيعية الا أن المصادر عبرت عن كبر حجم الضحايا و المصابين جراءه

ساهمت الكوارث الطبيعية بطريقة غير مباشرة في ظهور الوباء وذلك لما تسببه من فساد للهواء أو تلوث للماء والتربة أو لما تحدثه من مجاعات ، حيث أن حدوث هذه الكوارث يؤدي

لفساد الهواء أي تغير مكوناته الفيزيائية لزيادة سخونته أو برودته نتيجة موجات الحر أو البرد التي تعصف بالمنطقة أو ملامسته للجثث المتعفنة التي عادت ما يترك دفنها بسبب عددها الكبير عند حدوث زلزال أو فيضان أو لملامسة الهواء للماء الآسن، كل هذه العوامل محفزة لظهور وانتشار الوباء الذي يشكل خطرا على صحة وسلامة الأهالي.

أدى تلوث الماء الناتج عن حدوث الكوارث الطبيعية خاصة الفيضانات والسيول ومدود نهري دجلة والفرات وما تخلفه من بطائح وبرك مياه راكدة لظهور العديد من الأوبئة حيث أنها كانت مرتعا للحشرات الناقلة للأوبئة. كما ساهم رمي الجيف في الأنهار لتلوث المياه ما جعل الحصول على الماء الصالح للشرب خلال بعض الفترات أمرا صعبا فنظرا لتشابك الجداول والترع المتفرقة عن نهري دجلة والفرات أي ضرر يعرض لمياه أحد النهرين سيضر حتما بصحة الأهالي.

نتج عن الكوارث الطبيعية العديد من الأزمات الغذائية وارتفاع الأسعار المؤدية لسوء التغذية مما أدى لسوء الحالة الصحية والاصابة بالأوبئة في كثير من الأحيان فالواضح وجود علاقة بين ثنائية الوباء والجوع، وذلك لعجز الأهالي عن تأمين متطلباتهم اليومية من الغذاء بسبب انعدام الغذاء أو لارتفاع سعاره وبالتالي الإصابة بسوء التغذية التي تجعل الجسم غير قادر على مواجهة الوباء.

اتخذ العباسيين والأمراء البويهيين مجموعة من التدابير الصحية للحد من تأثير الكوارث الطبيعية ومواجهة الأزمات الصحية ، حيث شيدوا مجموعة من المستشفيات وعملوا على تمويلها لتغطية نفقاتها، كما حرصوا على جودة الخدمات الصحية، الا أنه نظرا لما يتميز به الكوارث من مفاجئة وعظم الخسائر، وما يتميز به الوباء من سرعة في الانتشار ولخروج أسباب حدوث العديد من الأوبئة عن القدرة البشرية، ولاتساع حدود الدولة وقلة الوعي الصحي خاصة عند أفراد العامة –ما جعلهم أكثر المتضررين–، عجزت الدولة عن وضع حد لأخطار الأوبئة وانقاض الكثير من المتضررين.

لم تكن الأزمات الصحية ملازمة للدولة العباسية خلال القرن الرابع هجري، حيث أنها كانت تتجدد كلما توفرت أسباب ظهورها لتعود السنوات الصحية الجيدة. ويتبعها الاستقرار الاقتصادي الذي كان رهين الظروف الصحية والسياسية والاجتماعية.

6. قائمة المراجع:

[1] احمد بن عبد الله القلقشندي (ت820هـ)، مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تح عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب، ص305.

[2] علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري ابن الاثير (ت630هـ)،الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفدا عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج7، ص259.

[3] اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو ابن كثير (774هـ)،البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1990، ج11، ص232.

[4] ابن الأثير، مصدر سابق، ج7، ص383.

[5] ابن كثير، مصدر سابق، ج11، ص304.

[6] كنز الدرر وجامع الغرر الدرة السنية في أخبار الدولة العباسية، تح دوروتيا كرافولسكي، ج6، المعهد الألماني للآثار بالقاهرة، بيروت، 1992، ص219

[7] عبد الرحمان بن علي بن محمد ابن الجوزي (ت597هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ج14، ص72

[8] عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار ابن كثير، ج2، تح عبد القادر الارنؤوط، ص344.

[9] ابن كثير، مصدر سابق، ج11، ص288

[10] المصدر نفسه، ج11، ص323

[11] ابن الجوزي، مصدر سابق،ج14، ص281.

[12] عماد الدين الأصفهاني (ت597هـ)، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، تحقيق محمد علي الطعاني، (د.ت)، ص274

[13] ابن كثير، مصدر سابق،ج11، ص288

[14] ابي القاسم ابن حوقل النصيبي، صورة الارض، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، 1996، ص116.120.

[15] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري(711هـ): لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د. ت)، ج1، ص189.

[16] محمد الصديق حسن خان القنوجي البخاري(ت1308هـ): التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2007، ص497.

[17] الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلاني(ت852هـ): بذل الماعون في فضل الطاعون، تحقيق أحمد عصام عبد القادر، دار العاصمة، الرياض، ص103.

[18] ابن كثير، مصدر سابق ، ج 11، ص185.

[19] محمد بن أحمد التميمي المقدسي (القرن 4هـ): مادة البقاء بإصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء، تحقيق يحي الشعار، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، 1999، ص53

[20] ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور(711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج2، ص185.

[21] ال ابي الحسن علي إسماعيل ابن سيدة(ت457هـ): المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ج 10، ص 213. ابن منظور المصدر السابق، ج2ص 185. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي(ت817هـ): القاموس المحيط، مراجعة أنس محمد الشافعي وزكريا جابر محمد، دار الحديث، القاهرة، 2008، ص1493.

[22] داود عمر الانطاكي (ت1008هـ): بغية المحتاج في المجرب من العلاج، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.م.ن)، 1995 ، ص497.

[23] محمد بن احمد التميمي المقدسي (القرن4هـ): مادة البقاء بإصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الاوباء، تحقيق يحيا الشعار، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، 1999، ص179.

[24] ابي علي الحسن بن علي ابن سينا(ت427هـ) القانون في الطب، وضع حواشيه محمد أمين الضاوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ج1، ص120.

[25] ابن النفيس علاء الدين بن أبي الحزم القرشي(ت687هـ): الموجز في الطب، مكتبة ديلكوم، مصر، (د.ت)، ص10.

[26] الأنطاكي: مصدر سابق، ص 333.

[27] شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ابن قيم الجوزي(ت751هـ): الطب النبوي، مراجعة عبد الغني عبد الخالق، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت)، ص31.

[28] يناظر مصطلح خمير (ج. خمائر) فئة البكتيريا التي تؤدي وظيفة التخمر. محمد أبطوي: دراسة الوباء وسبل التحرز منه: الأوبئة في الطب العربي وفي التاريخ الثقافي والاجتماعي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2020، ص21.

[29] الخلط هو جسم رطب سيال يستحيل اليه الغذاء أولا، يتكون من الدم والصفراء، البلغم والسوداء. ابن سينا، القانون في الطب، مصدر سابق: ج1، ص28.

[30] التميمي: مصدر سابق، ص54.

[31] المصدر نفسه، ص179.

[32] أبو مروان بن أبي العلاء (ت525هـ/1130م): كتاب الأغذية، تحقيق أكيبرايتون غارنيا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، 1991، ص13.

[33] ابن كثير: مصدر سابق، ج11، ص201.

[34] المصدر نفسه، ص213.

[35] ابن الجوزي: مصدر سابق، ج 14، ص19. الكامل: مصدر سابق، الجزء 7، ص217. ابن حجر: المصدر السابق، ص366.

[36] ابن الجوزي: مصدر سابق، ج 14، ص119.

[37] ابن الجوزي: مصدر سابق، ج14، ص119.

[38] المصدر نفسه، ص220.

[39] ابن كثير: مصدر سابق، ج 11، ص305.

[40] المصدر نفسه، ج14، ص210-230.

[41] ابن سينا: الشفاء الطبيعيات، تحقيق محمد قاسم، مراجعة إبراهيم مدكور، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، مصر، ص45.

[42] أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي (ت284هـ): البلدان، المطبعة المرتضية، 1918، ص5.

[43] شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، لبنان، الجلد 4، ص 94.

[44] وهي نوعان، حمى الدق: حمى تدوم طويلا لا ترتفع بسببها حرارة المريض الا أنها تترك المريض منهوكا ذابلا. ونوع ثاني وهو حمى الأعفان: تحدث عن عفونة أحد الأخلاط الأربعة. محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي: مفاتيح العلوم، مطبعة الشرق، مصر، 1342، ص 99.

[45] احمد بن يوسف القرماني (ت1019هـ): أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق أحمد عطيط وفهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، ج 3، ص 302.

[46] ابن الأثير: مصدر سابق، الجزء 7، ص357.

[47] ابن كثير: مصدر سابق، ج11، ص 228.

[48] ابن الجوزي: مصدر سابق، ج14، ص 317.

[49] ابي العباس احمد بن يحي البلاذري(ت279هـ): فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، ص 356.

[50] ابن الجوزي: مصدر سابق، ج 14، ص329.

[51] ابن الأثير: مصدر اسابق، ص435.

[52] ابي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ): تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1967، ج 10، ص147.

[53] ابن الجوزي: مصدر سابق، ج14، ص109

[54] المصدر نفسه، ج 14، ص 111

[55] المصدر نفسه، ج 14، ص111.

[56] شمس الدين محمد بن ابي بكر بن ايوب الزرعي الدمشقي ابن قيم الجوزي (ت751هـ)، الطب النبوي، مراجعة عبد الغني عبد الخالق، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت)، ص32.

[57] أبو الفرج بن يعقوب بن القفطي(ت1286م): جامع الغرض في حفظ الصحة ودفع المرض، الناسخ صروف سيد سيبر، مكتبة ويلكوم، 1830، ص99.

[58] ابن حجر: مصدر سابق، ص 105

[59] مرعي بن يوسف بن أبي بكر المقدسي الحنبلي (ت 1033هـ): ما يفعله الأطباء والداعون بدفع شر الطاعون، تقديم خالد بن العربي مدرك، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2000، ط1، ص36.

[60] تصاب فيه الرئتان على نطاق واسع ويبدأ بالتهاب شعبي رئوي ثم يتبعه فورا امتلاء الرئتين بالسائل ما يؤدي لوفاة الشخص خلال ثلاثة أو أربعة أيام. ابن حجر العسقلاني: مصدر سابق، ص24.

[61] ابن الأثير: مصدر سابق، ج 7، ص250. ابن الجوزي، مصدر سابق ج 14، ص109.

[62] ابن كثير: مصدر اسابق، ج 11، ص421.

[63] ابن الجوزي: مصدر سابق، ج15، ص111.

[64] ابي بكر محمد بن زكريا الرازي: كتاب في الجدري والحصبة، المدرسة الكلية السورية الانجيلية، بيروت، 1873، ص10

[65] ابن الجوزي: مصدر سابق، ج15، ص111.

[66] أبي بكر أحمد بن محمد الهمداني ابن الفقيه: مختصر تاريخ البلدان: دار احياء التراث العربي، بيروت، 1988، ص 2015.

[67] عطية فيليب: أمراض الفقراء في دول العالم الثالث، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1992، ص181.

[68] ابن الجوزي: المصدر السابق، ج14، ص 235.254.

[69] احمد بن ابي يعقوب (ت284هـ): البلدان، المكتبة المرتضية، العراق، 1918، ص43.44

[70] ابن سينا: مصدر سابق، ج1، ص 134.

[71] عصام فكون: الحضارة والمرض، مجلة عالم الفكر، مطبعة الكويت، الع3، المج2، 1971، ص37.

[72] ابن الجوزي: مصدر اسابق، ج 11، ص197.

[73] Arthur W.stiffe: Ancient tranding centres of the Persian Gulf , the geographical journal, Vol.6, No.2, aug 1895, p 166.

[74] حياة ناصر الحاجي: المجاعة والطاعون وأثرهما على سلطنة المماليك في الفترة ما بين عامي 694-695هـ/ 1294-1295م، حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، الع7، 1984، ص150.

[75] تقي الدين أبي العباس أحمد المقريزي (ت845هـ): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الذخائر الهيئة العامة لقصور الثقافة، (د. ت)، ص 76. اشتور التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، تر عبد الهادي عبلة، دار قتيبة، 1985، ص396.

[76] أبي محمد المظفر بن نصر بن سيار الوراق(القرن4هـ): كتاب الطبيخ، اصلاح الأغذية والمأكولات وطيبات الأطعمة المصنوعات، تحقيق احسان الثامريو محمد عبد الله القلحات، تقديم إبراهيم شبوح، دار صادر، لبنان، 2012، ص22.

[77] اشتور، مرجع سابق، ص283.

[78] عصام فكون: الحضارة والمرض، مجلة عالم الفكر، مطبعة الكويت، الع 3، المج2، 1974، ص37

[79] التميمي: مصدر سابق، ص112.

[80] ابن القيم: مصدر سابق، ص12.

[81] صلاح الدين الناهي: الاقطاع ونظام الأرض في العراق، مطبعة دار المعارف، بغداد، 1955، ص 10.

[82] عبد العزيز الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، بغداد، 1948، ص270.

[83] المرجع نفسه، ص272.

[84] ابن الجوزي، ج14، ص19.

[85] ابن كثير: مصدر سابق، ج11، ص205.

[86] المصدر نفسه، ص212.

[87] ابن الأثير: المصدر السابق، ج7، ص217.

[88] ابن كثير: مصدر سابق، ج 11، ص238.

[89] الكامل، ص 267، ج7

[90] ابن الجوزي: ج14، ص323.

[91] عبد العزيز الدوري: مرجع سابق، ص271.

[92] الطبري: مصدر سابق، ج 10، ص 148.

[93] ابن الجوزي: مصدر سابق، ج13، ص 374

[94] ابن كثير: مصدر سابق، ج 11، ص197

[95] المقدسي (ت380هـ): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991، الطبعة3 ، ص113.

[96] ابن الأثير: المصدر السابق، ج7، ص86.

[97] المصدر نفسه، ج7، ص151.

[98] نفسه، ج7، ص177.

[99] نفسه، ج7، ص298.

[100] نفسه، ج7، ص404.

[101] ابن كثير، ج11، ص304.

[102] ابن الجوزي، مصدر سابق، ج11، 317.

[103] المصدر نفسه، ص55

[104] ابن الأثير: مصدر سابق، ج7، ص158.

[105] ابن الجوزي: المصدر السابق، ج14، ص119.

[106] شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد محمد العسكري الحنبلي الدمشقي ابن العماد(1032-1089هـ) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، ج4، ص225.

[107] المصدر نفسه، ص230.

[108] ابن الأثير: ج 7، ص217.

[109] بن حجر العسقلاني: مصدر سابق، ص366.